

باب

قال أبو العباس: وجّه عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه جريرَ بنَ عبد الله البجليّ إلى معاوية رحمه الله يأخذه بالبيعة له^(١)، فقال له: إنَّ حَوْلِي مَنْ تَرَى مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ولكنِّي آخَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيكَ^(٢): «خَيْرُ ذِي يَمَنِ»^(٣)، اثبت معاويةَ فَخَذَهُ بِالْبَيْعَةِ، فقال جريرُ: والله يا أمير المؤمنين ما أَدَجْرُكَ مِنْ نُصْرَتِي شَيْئاً، وما أَطْمَعُ لَكَ فِي مُعَاوِيَةَ، فقال عليُّ رضي الله عنه: إِنَّمَا قَصْدِي حُجَّةٌ أُقِيمُهَا عَلَيْهِ^(٤).

فلما أتاه جريرٌ دافَعَهُ مُعَاوِيَةَ، فقال له جريرُ: إِنَّ الْمُنَافِقَ لَا يُصَلِّي حَتَّى لَا يَجِدَ مِنَ الصَّلَاةِ بُدْأً، وَلَا أَحْسَبُكَ تَبَايِعَ حَتَّى لَا تَجِدَ مِنَ الْبَيْعَةِ بُدْأً! فقال له معاوية: [١٨٣] إنها ليست بخدعة الصبي عن اللبني^(٥)، إنه أمر له ما بعده، فأبْلَغَنِي رِيقِي، فَنَاطَرَ عَمْرًا فَطَالَتِ الْمَنَاطِرَةُ بَيْنَهُمَا وَأَلْحَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فقال له معاوية^(٦): أَلْقَاكَ

(١) ليس في الأصل وج.

(٢) ليس في الأصل وف وظ وج وهـ. وفي ف وهـ: خير ذي يمن جرير. وبهامش ج «أنت» يريد زيادته بعد «خير ذي يمن» وتحت: لم «يروع».

(٣) انظر ما سلف ص: ٢٤٧.

(٤) ليس في الأصل وج.

(٥) قوله «خدعة الصبي عن اللبني» ورد في كلمة الإمام علي كرم الله وجهه إلى معاوية، وأما عبارة معاوية فهي: «إنها ليست بخلسة» انظر وقعة صفين ٢٩، ٣٣.

(٦) في الأصل: «والح عليه جرير فقال يا معاوية: إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب ولا يشرح إلا بتوبة ولا أظن =

بالفصل في أول مجلس إن شاء الله تعالى، ثم كتب لعمرو بمصر طعممة، وكتب عليه: ولا ينقض شرط طاعة، فقال عمرو: يا غلام، اكتب: ولا تنقض طاعة شرطاً. فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد^(١) ليسمع جريراً:

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَأَعْتَرْتَنِي وَسَاوِسِي	لَاتِ أَتَى بِالْتَّرَهَاتِ الْبَسَائِسِ ^(٢)
أَتَانِي جَرِيرٌ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ	يَتَلَّكَ التِّي فِيهَا أَجِيدَاغُ الْمَعَاطِسِ
أَكَابِدُهُ ^(٣) وَالسَّيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدَّنِيِّ بِلَاسِ
إِنِ الشَّأْمُ أَعْطَتْ طَاعَةً يَمِينَةً	تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِي الْمَجَالِسِ
فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمَ عَلِيًّا بِجَبْهَةٍ	تَفُتُّ عَلَيْهِ كُلُّ رَطْبٍ وَيَاسِ ^(٤)
وَإِنِّي لِأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلُ ^(٥)	وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بَاسِ ^(٦)

وكتب إلى علي رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب.

أما بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولكنك^(٧) أغرقت بعثمان

= [١/٧٧] قلبك إلا مطبوعاً أراك قد وقفت على الحق والباطل كأنك تنظر شيئاً في يد غيرك فقال له معاوية. . . ومقالة جرير هذه التي وردت في الأصل الظاهر أنها ثابتة في النسخة التي انتسخ عنها ناسخ الأصل وفاته أن يئبه على أنها ليست في نسخة أبي حيان التي عارض نسخته عليها فلم ترد في ف وظ. وقد جاء قول معاوية لجرير أفاك بالفصل إلخ عقب مقالة جرير يا معاوية إنه لا يطبع إلخ في وقعة صفين ٥٦. وفي رواية الخبر اختلاف.

(١) في وقعة صفين ٣٣: لما جن معاوية الليل واغتم وعنده أهل بيته قال تطاول الأبيات.
(٢) الترهات: الأباطيل. والبسائس جمع بسيس وهو الفقر الواسع. يريد اتساع الأباطيل. عن رغبة الأمل

٢١١/٣

(٣) في هـ: أكابده. وضبط في ج ليقرا أكابده وأكابده.

(٤) بعده في زيادات ر: الجبهة جماعة الخيل.

(٥) في الأصل وظ: ما أنا نائل.

(٦) كذا في الأصل وس. وفي سائر النسخ: «بياس».

(٧) في هـ: ولكن.

المهاجرين، وَخَذَلَتْ عَنْهُ الْأَنْصَارَ، فَأَطَاعَكَ الْجَاهِلُ وَقَوِيَ بِكَ الضَّعِيفُ، وَقَدْ أَبِي
 أَهْلَ الشَّامِ إِلَّا قِتَالَكَ حَتَّى تَذْفَعَ إِلَيْهِمْ قَتْلَةَ عِثْمَانَ، فَإِنْ فَعَلْتَ كَأَنْتَ سُورَى بَيْنَ
 الْمُسْلِمِينَ، وَلَعَمْرِي مَا حُجِّتَكَ عَلَيَّ كَحُجِّتِكَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ لِأَنَّهُمَا بَايَعَاكَ وَلَمْ
 أَبَايَعُكَ، وَمَا حُجِّتَكَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ كَحُجِّتِكَ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ
 أَطَاعُوكَ وَلَمْ يُطِيعَكَ أَهْلُ الشَّامِ. وَأَمَّا شَرْفُكَ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ وَمَوْضِعُكَ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَسْتُ أَذْفَعُهُ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الْكِتَابِ بِشَعْرِ كَعْبِ
 بْنِ جَعْفَلٍ^(١)، وَهُوَ:

[١٨٤] أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ أَهْلُ^(٢) الْعِرَاقِ
 وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغِضًا
 إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمِينَاهُمْ
 فَقَالُوا^(٤) عَلِيُّ إِمَامٌ لَنَا
 وَقَالُوا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ^(٦)
 وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ
 وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا^(٣)
 يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا
 وَدِينَاهُمْ بِمِثْلِ مَا يُقْرَضُونَا
 فَقُلْنَا رَضِينَا أَبْنَ هِنْدٍ رَضِينَا^(٥) [٧/٧٧]
 فَقُلْنَا^(٧) أَلَا لَا نَرَى أَنَّ نَدِينَا
 وَضَرَبَ وَطَعَنَ يُقِرُّ الْعُيُونَا

وأحسن الروایتین: يَقْضُ الشُّؤُونَا، وَفِي آخِرِ هَذَا الشَّعْرِ ذَمُّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْسَكْنَا عَنْهُ^(٨).

قَوْلُهُ: «وَلَكِنَّكَ^(٩) أَعْرَيْتَ بَعِثْمَانَ الْمُهَاجِرِينَ»، فَهُوَ مِنَ الْإِغْرَاءِ وَهُوَ

(١) انظر وقعة صفين ٥٦-٥٧.

(٢) كذا في الأصل وج ود. وفي سائر النسخ وهامشي الأصل وج: «مُلْك».

(٣) في س: وأهل العراق لهم كارهونا.

(٤) في ج: وقالوا.

(٥) في ج: أمينا، وبهامشها: رضينا.

(٦) في ج: لنا، وبهامشها: له.

(٧) في الأصل: فقلت.

(٨) في ر: «عن ذكره».

(٩) في هـ: ولكن.

التَّحْضِيضُ عَلَيْهِ، يُقَالُ أُغْرِيْتُهُ بِهِ، وَأَسَدْتُهُ عَلَيْهِ، وَأَسَدْتُ الْكَلْبَ عَلَى الصَّيْدِ أُوسِدُهُ إِسَادًا، وَمَنْ قَالَ أَشْلَيْتُ الْكَلْبَ فِي مَعْنَى أُغْرِيْتُهُ فَقَدْ أَخْطَأَ، إِنَّمَا أَشْلَيْتُهُ: دَعْوَتُهُ إِلَيَّ، وَأَسَدْتُهُ: أُغْرِيْتُهُ.

وقولُ ابنِ جُعَيْلٍ:

وأهلُ العراقِ لهمِ كارهِينا

محمولٌ على «أرى»، ومن قال:

وأهلُ العراقِ لهمِ كارهِونا

فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وأبتداءٌ، ثم عطفَ جملةً على جملةٍ بالواو، ولم يحمله على «أرى»، ولكن كقولك^(١): كان زيدٌ منطلقاً وعمروٌ منطلقٌ الساعة، خَبِرْتَ بخبرٍ بعد خبرٍ، والوجهُ الآخر: أن تكونَ الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها «إذ»، كما تقول: رأيتُ زيداً قائماً وعمروٌ منطلقٌ، تريد: إذ عمروٌ منطلقٌ؛ وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى، وهو قولُ الله عزَّ وجل: ﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(٢)، والمعنى والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحال، وكذلك قراءةٌ من قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٣)، أي والبحرُ هذه حاله، ومن قرأ ﴿وَالْبَحْرُ﴾^(٤) فعلى «أن».

وقوله: ودِنَاهُمْ مثل ما يقرضونا

(١) في الأصل: ولكن كان كقولك.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

(٤) قرأه بالنصب أبو عمرو من السبعة وقرأه الباقر بالرفع. انظر السبعة لابن مجاهد ٥١٣، وحجة القراءات

٥٦٦، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ١٨٩/٢، والنشر ٣٤٧/٢، وانظر البحر ١٩٠/٧ - ١٩١.

يقول: جزيناهم، وقال المفسرون في قوله عزوجل: ﴿مَالِكِ يَوْمَ
الَّذِينَ﴾^(١)، قالوا: يومَ الجَزَاءِ والحساب^(٢)، ومن أمثال العرب: «كما تُدينُ
تُدانُ»^(٣)، وأنشد أبو عبيدة^(٤):

وَأَعْلَمَ وَأَيُّقُنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمُ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ
وللذين مواضع منها ما ذكرنا، ومنها الطاعة، ودينُ الإسلام من ذلك،
يقال: فلانُ في دينِ فلانٍ: أي في طاعته، ويقال كانت مَكَّةُ بلدًا لِقاحًا: أي لم
تَكُنْ^(٥) في دينِ مَلِكٍ؛ وقال زهير^(٦):

لَيْسَ حَلَّتْ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَذُكُ [١٨٥]

فهذا يريد: في طاعة عَمْرٍو بنِ هند؛ والدينُ: العادة؛ يقال ما زال هذا
[١/٧٨] ديني ودأبي وعادتي وديديني وإجريائي، قال المَثَقِبُ العَبْدِيُّ^(٧) :

تَقُولَ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَصِيْنِي أَهْدَا دِينُهُ أَبْدَأُ وَدِينِي
أَكَلُ الدَّهْرِ حَلًّا وَأَرْتَحَالُ أَمَا تُبْقِي عَلَيَّ وَمَا تَقِينِي^(٨)

وقال الكَمَيْتُ بنُ زَيْدٍ^(٩)

(١) سورة الفاتحة: ٣.

(٢) انظر مجاز القرآن ٢٣/١، وتفسير غريب القرآن ٣٨.

(٣) انظر جمهرة الأمثال ١٦٨/٢، ومجمع الأمثال ١٥٥/٢، والمستقصى ٢٣١/٢.

(٤) بعده في زيادات ر: «الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي وله خبره. والبيت في مجاز القرآن ٢٣/١، واللسان
والنجاح (دين). ويروى لجدته خويلد.

(٥) كذا في ج وهـ، وفي سائر النسخ: يكونوا.

(٦) ديوانه ق ٣٢/٩ ص: ١٣٧. وجوه وجود الملا موضع كان لبني يربوع فانتزعه منهم بنو أسد. معجم البلدان ١٩٠/٢،
ومعجم ما استعجم ٤٠٧. وزعم الغندجاني في فرحة الأديب ١٣٩ أن الصواب «بخو» بالخاء وهو موضع لبني أسد، وانظر
البلدان ٤٠٧/٢ ومعجم ما استعجم ٥١٩.

(٧) ديوانه ق ٣٨/٥، ٣٧ ص ١٩٥، ١٩٨، والمفضليات ق ٣٨/٧٦، ٣٧ ص: ٢٩٢.

(٨) في الأصل ور «أما تبقي علي وما تبقيني» بالياء والتاء. وبهامش ي ما نصه: «بالتاء أشهر. وهما بالتاء في
ف وبالياء في ظ وهـ.

(٩) شرح الهاشميات: ٤٠ باختلاف في روايته.

عَلَى ذَاكَ إِجْرِيَايَ وَهِيَ ضَرِيَّتِي وَإِنْ أَجْلَبُوا طُرّاً عَلَيَّ وَأَحْلَبُوا^(١)

وقوله: فقلنا رضيينا ابن هند رضيينا

يعني معاوية بن أبي سفيان، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف.

وقوله: «أن تدبونا له»، أي أن تطيعوه وتدخلوا في دينه: أي في طاعته.

وقوله: ومن دون ذلك خرط القتاد

فهذا مثل^(٢) من أمثال العرب، والقتاد: شجيرة^(٣) شاكّة غليظة أصول الشوك، فلذلك يضرب خرطه مثلاً في الأمر الشديد، لأنه غاية الجهد.

ومن قال «يفض الشؤنا» ف«يفض» يفرق، تقول: فضضت عليه^(٤) المال، والشؤون واحدها شأن، وهي مواصل قبائل الرأس، وذلك أن الرأس أربع قبائل^(٥)، أي قطع مشعوب بعضها إلى بعض، فموضع شعبيها^(٦) يقال له الشؤون واحدها شأن، وزعم الأصمعي قال: يقال إن^(٧) مجاري الدموع منها، فلذلك يقال: استهلّت شؤونه^(٨)، وأنشد قول أوس بن حجر^(٩):

(١) قوله «أكل الدهر حل... علي وأحلبوا» ليس في ج. وزاد بعد بيت المتعب: «قال غير أبي العباس درأت أزلته عن موضعه، ودرأت عني الشيء نخيته، وادرثي له الوسادة أي اطرحها له، هذا عن الطوسي [انظر شرح الأنباري على المفضليات ٥٨٦]».

(٢) انظر مجمع الأمثال ٢٦٥/١، والمستقصى ٨٢/٢.

(٣) في س ود متن ي «شجرة» وفي هـ: «شجر». وفي الأصل: والقتادة شجيرة، ولعله أنسب.

(٤) في هـ والأصل: عليهم. وبهامش الأصل: عليه.

(٥) في ر «وذلك أن للرأس أربع قبائل».

(٦) كذا ضبط في ج وهـ وهو الوجه، وفي هـ: «شعبيها والثامها». وضبط في الأصل ور: «شعبيها»

(٧) في الأصل: وزعم الأصمعي أن.

(٨) عبارة الأصمعي كما في خلق الإنسان له (الكنز اللغوي ١٦٧): «وفي الجمجمة القبائل وهي أربع، وهي =

لا تَحْزُنِينِي بِالْفِرَاقِ فَإِنِّي لا تَسْتَهْلُ مِنَ الْفِرَاقِ شُؤُونِي

وَمَنْ قَالَ: «يُقَرُّ الْعَيْونَا»، ففيه قولان: أحدهما للأصمعي، وكان يقول: لا يجوزُ غيره، يقال: قَرَّتْ عَيْنُهُ وأَقْرَّهَا اللَّهُ، وقال: إنما هو بَرَدَتْ مِنَ الْقُرِّ، وهو^(١) خلاف قولهم: سَخِنَتْ عَيْنُهُ وأسَخَنَهَا اللهُ؛ وغيره يقول: قَرَّتْ: هَدَأَتْ، وأَقْرَّهَا اللهُ: أهْدَأَهَا اللهُ، وهذا قولٌ حسنٌ جميل، والأولُ أغربٌ وأطرفٌ.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه جوابَ هذه الرسالة^(٢): بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرٍ، أما بعد: فإنه أتاني منك كتابٌ أمرِيءٍ ليس له بَصَرٌ يَهْدِيهِ، ولا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، دعاه الهوى فأجابه، وقادَهُ فَاتَّبَعَهُ؛ زَعَمْتَ أَنَّكَ إِنَّمَا أَفْسَدَ^(٣) عَلَيْكَ بَيْعَتِي خَطِيئَتِي [١٨٦] فِي عَثْمَانَ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَوْزَدْتُ كَمَا أوردوا، وَأَصْدَرْتُ، كَمَا أَصْدَرُوا، وَمَا كَانَ اللهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ، وَلَا لِيُضْرِبَهُمْ بِالْعَمَى [٢/٧٨] وبعْد؛ فما أنت وعثمان؟ إنما أنت رجلٌ من بني أُمَيَّةَ، وبنو عثمان أولى بمطالبةِ دَمِهِ، فإن زعمتَ أَنَّكَ أقوى على ذلك فأَدْخُلْ فيما دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، ثم حاكم القومِ إليَّ. وأما تَمْيِيزُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ^(٤) طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَبَيْنَ^(٥) أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَعَمْرِي مَا الْأَمْرُ فِيمَا هُنَاكَ إِلَّا سَوَاءٌ، لَأَنَّهُاتَّبِعَةُ شَامِلَةٌ، لَا يُسْتَنَى فِيهَا الْخِيَارُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا النَّظَرُ، وَأَمَا شَرَفِي فِي الْإِسْلَامِ، وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَوْضِعِي مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَعَمْرِي لَوْ أَسْتَطَعْتُ دَفْعَهُ لَدَفَعْتَهُ.

- قَطَعَهُ الْمَشْعُوبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضِ الْوَاحِدَةِ قَبِيلَةٍ... وَمَوَاصِلُ الْقَبَائِلِ الشُّؤُونُ الْوَاحِدُ شَأْنٌ... وَيُقَالُ إِنْ الدَّمْعُ يَخْرُجُ مِنَ الشُّؤُونِ وَمَنْ نَمَّ يُقَالُ: اسْتَهْلَتْ شُؤُونَهُ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ: لَا تَحْزُنِينِي: ... الْبَيْتُ. اهـ.
(٩) ديوانه ق ٢/٥٣ ص: ١٢٩.

(١) في الأصل: وهذا.

(٢) انظر ورقة صفين ٥٧ - ٥٨، وهي أنم مما روى المبرد.

(٣) في هـ: «زعمت أنما أفسد» وكذا كان في الأصل ثم زاد «أنك». وفي ج: زعمت أنه إنما أفسدت.

(٤) في الأصل: تمييزك بين، وهو سهو.

(٥) «بين» ليس في روح.

ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب فقال له: إن ابن جُعيلٍ شاعرُ أهلِ الشام،
وانتَ شاعرُ أهلِ العراق، فأجِبِ الرجلَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين أسمعني قوله، قال: إذا
أُسمِعَكَ شِعْرَ شَاعِرٍ؛ فقال النجاشي يجيبه^(١):

دَعَنْ^(٢) يَا مُعَاوِيَّ مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحَذَرُونَا
أَتَاكُم عَلِيٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْجِجَارِ فَمَا تَصْنَعُونَا
وبعد هذا نُمِسِكَ عنه.

قوله: «ليس له بَصْرٌ يهديه»، فمعناه يقوده، والهادي: هو الذي يَتَقَدَّمُ
فَيَدُلُّ، والحادِي يتأخِرُ^(٣) فَيَسُوقُ، والعُنُقُ يُسَمَّى الهَادِي لَتَقَدُّمِهِ، قال الأعشى^(٤):

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دِ صَدَرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

يصف أنه قد عمي فإنما تَهْدِيهِ العصا^(٥)، ألا تراه يقول:

وَهَابَ^(٦) الْعِثَارَ إِذَا مَا مَشَى وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعَثَا وَعُورَا

وقال القطامي^(٧):

إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي

وقال أيضاً:

قَرَّبِينَ يَقْصُرُونَ مِنْ بُزْلِ مَخِيسَةٍ^(٨) وَمِنْ عِرَابٍ بَعِيدَاتٍ مِنَ الْحَادِي

(١) انظر كلمته في رقعة صفين ٥٨ - ٥٩.

(٢) رسم في الأصل وج ور: «دعاً»

(٣) في ف: الذي يتأخر.

(٤) ديوانه ق ١٢/٢٧، ٢٨، ص: ١٣١.

(٥) في ر: عصاً.

(٦) في أ: وخاف، وهي رواية الديوان.

(٧) ديوانه ق ٣٠/٢ ص: ١٠. والبيت التالي هو الخامس عشر من كلمته ص: ٩.

(٨) في الديوان: ألمعن يقصرون من بخت مخيسة.

وقوله: «ولا قائد يُرشدُهُ» قد أبان به الأول.

وقوله: «دعاه الهوى»، فالهوى من هويت مقصور، وتقديره «فَعَلٌ»، فانقلبت الياء ألفاً، فلذلك كان مقصوراً، وإنما كان كذلك لأنك تقول: هَوِيَ يَهْوَى، كما [١٨٧] تقول: فَرِقَ يَفْرِقُ، وهو «هَوٍ»، كما تقول: هُوَ فَرِقٌ كما ترى^(١)، وكان المصدر على «فَعَلٍ» بمنزلة الفَرِقِ والحَذَرِ والبَطْرِ، لأن الوزن واحد في الفعل واسم [١٧٩/١] الفاعل، فأما «الهواء» من الجَوِّ فممدودٌ، يَدُلُّكَ على ذلك جمعه إذا قلت: «أَهْوِيَّةٌ»، لأن «أَفْعَلَةٌ» إنما تكون جمعَ «فَعَالٍ» و«فَعَالٍ» و«فَعُولٍ» و«فَعِيلٍ»، كما تقول: قَدَالٌ وَأَقْدَلَةٌ، وحمارٌ وأحمرَةٌ، فَهَوَاءٌ كذلك، والمقصور جمعه «أهواءٌ» فأعلم، لأنه على «فَعَلٍ» وجمع «فَعَلٍ»: «أفعالٌ»، كما تقول: جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ وَقَتَبٌ وَأَقْتَابٌ، قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٢)، وقولهم: هذا هَوَاءٌ يا فتى في صفة الرجل إنما هو ذمٌ، يقول لا قَلْبَ له، قال الله عز وجل: ﴿وَأَفْسَدَتْهُمْ هَوَاءَهُمْ﴾^(٣) أي خالية، وقال زهير^(٤):

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ
مِنَ الظُّلْمَانِ جُجُؤُهُ هَوَاءٌ
وهذا من هَوَاءِ الجَوِّ؛ قال الهذلي^(٥):

هَوَاءٌ يَمِثُّ بِغَلْبِكَ مُسْتَمِيَةً
عَلَى مَا فِي وَعَائِكَ كَالْخِيَالِ

وكلٌ وإو مكسورة وقعت أولاً فهمزها جائز، يُنشدُ: «على ما في إعائك»، ويقال: إِمَادَةٌ وإِسَادَةٌ، وِوِشَاحٌ وإِشَاحٌ.

(١) في الأصل وف: وهو هو كما ترى كما تقول هو فرق كما ترى. لأنك تقول هوي يهوي فهو هو كما تقول فرق يفرق فهو فرق.

(٢) سورة محمد: ١٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٣.

(٤) ديوانه ق ١٥/٣ ص ٥٨.

(٥) هو حبيب الأعلام. والبيت من كلمة له في ديوان الهذليين ٢ / ٨٣.

وأما قوله: «فما أنت وعثمان»، فالرفع فيه الوجه لأنه عطفَ اسماً ظاهراً على اسمٍ مُضْمَرٍ مُنْفَصِلٍ، وأجراه مُجْرَاهُ، وليس ههنا فِعْلٌ فَيُحْمَلُ على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان؛ هذا تقديره في العربية، ومعناه لَسْتُ منه في شيء^(١). وهذا الشعر يُنشد^(٢) كما أصفُ لك:

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَأَهْلُنَا تَهَامٍ فَمَا النَّجْدِيُّ وَالْمَتَغَوَّرُ^(٣)

وكذلك قوله^(٤):

تُكَلِّفُنِي سَوِيْقَ الْكُرْمِ جَرْمٌ وَمَا جَرْمٌ وَمَا ذَاكَ السَّوِيْقُ

فإن كان الأول مضمراً متصلاً كان النصبُ لِثَلَا يُحْمَلُ ظاهراً^(٥) على مضمراً، تقول: مالكٌ وزيداً، وذلك أنه أَضْمَرَ الفِعْلَ، فكأنه قال في التقدير: ومُلاَبَسْتُكَ زيداً، وفي النحو تقديره: مع زيد، وإنما صَلَحَ الإضمارُ لأنَّ المعنى عليه إذا قلت: مالكٌ وزيداً، فإنما تنهاه عن مُلاَبَسَتِهِ، إذ لم يَجْزُ «وزيد» وَأَضْمَرْتَ لأنَّ حروفَ الإِسْتِفْهَامِ للأفعال، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار، نحو [١٨٨]

(١) بعده في زيادات ر: «قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزَه جوازاً حسناً وجعله مفعولاً معه وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده ما كنت وفلاناً».

ونصّ كلام سيبويه كما في الكتاب ١/١٥٦: «ومن قال ما أنت وزيداً قال ما شأن عبد الله وزيداً كأنه قال ما كان شأن عبد الله وزيداً، وحمله على كان لأن كان يقع ههنا، والرفع أجود وأكثر في ما أنت وزيد...».

(٢) في روف: كما أصف لك ينشد.

(٣) البيت لجميل من كلمة في ديوانه ص ٩١، وخزانة الأدب ١/٥٠٠-٥٠٢، وفرحة الأديب ١٨٣-١٨٤، وهو من شواهد الكتاب ١/١٥١.

(٤) وفي ي ودوس: «وما النجدي» ولم يشر إلى ما في ج وهـ. ومن هنا إلى قوله فرعم سيبويه ص ٤٤١ بياض في النسخة الأم لـ هـ واستدرك بهامشها من نسخة أخرى.

(٥) بعده في زيادات ر: «هو زياد الأعجم» والبيت له في شرح أبيات سيبويه ١/٣٠٧، والشعر والشعراء ٤٣٣، والحلل ٣٦٩، وفي مطبوعة الكتاب من نسخة هو زياد الأعجم ويقال غيره وإلى زياد نسبة الأعلام انظر الكتاب ١/١٥٢.

(٥) كذا في ج و ي وكذا كان في الأصل. وفي سائر النسخ «ظاهر الكلام» وكان «الكلام» في ي ثم ضرب عليه واستدرك بين الأسطر في الأصل.

قولك: ما زِلْتُ^(١) وَعَبَدَ اللهُ حَتَّى فَعَلْ، لأنه ليس يريد ما زِلْتُ وما زال عبدُ الله، ولكنه أراد ما زِلْتُ بعبد الله، فكان المفعولُ مخفوضاً بالباء، فلما زال ما يَخْفِضُهُ وَصَلَ الفِعْلُ إِلَيْهِ [٢/٧٩] فَنَصَبَهُ، كما قال تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾^(٢) فالواو في معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ^(٣)

فَمَا لَكَ وَالتَّلْدُدَ حَوْلَ نَجْدٍ وَقَدْ غَضَّتْ تِهَامَةً بِالرَّجَالِ

ولو قلت: ما شأنك وزيداً لآخِيزَ النَّصْبُ لَأَنَّ زِيداً لَا يَلْتَبِسُ بِالشَّانِ، لأنَّ المَعْطُوفَ عَلَى الشَّيْءِ فِي مِثْلِ^(٤) حَالِهِ، ولو قلت: ما شأنك وشأن زيد لرفعت، لأنَّ الشَّانَ يَعْطِفُ عَلَى الشَّانِ، وهذه الآية تُفَسِّرُ عَلَى وَجْهَيْنِ مِنَ الإِعْرَابِ: أَحَدُهُمَا هَذَا، وَهُوَ الأَجُودُ فِيهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٥) فالمعنى والله أعلم: مَعَ شُرَكَائِكُمْ، لأنك تقول جَمَعْتُ قَوْمِي، وَأَجْمَعْتُ أَمْرِي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا أُدْخِلَ الشَّرْكَاءَ مَعَ الأَمْرِ حَمَلَهُ عَلَى مِثْلِ لَفْظِهِ لِأَنَّ المَعْنَى يَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ^(٦)

يَا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمَحاً

وقال آخر^(٧):

شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطٌ

(١) في ج: بدليل نحو ما زلت. وفي ي كما في المتن وبهامشها «بدليل».

(٢) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٣) بعده في زيادات ر: «هو لمسكين الدارمي». والبيت له في كتاب سيويه ١٥٥/١، والحلل ٣٧١.

(٤) في ر: عل الشيء أبداً في مثل.

(٥) سورة يونس: ٧١. وسيكرر الكلام عليها ص ٨٣٦.

(٦) بعده في زيادات ر: «هو عبد الله بن الزبيرى». والبيت بلا نسبة في المقتضب ٥١/٢ وسيأتي ص ٤٧٧،

٨٣٦. وانظر شعر عبد الله بن الزبيرى ص ٣٢.

(٧) البيت في المقتضب ٥١/٢. وسيأتي ٤٧٧، ٨٣٧.

وهذا بين.

**

ويروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخي، لقد هممتُ اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بِسَّسَ والله ما هممتُ به في أبي أمير المؤمنين، ووليَّ عهد المسلمين! فقال: إن خيلي مرَّت به فعبتُ^(١) بها وأصغرتني، فقال له خالد: أنا أكفيك. فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، الوليدُ ابنُ أمير المؤمنين، ووليُّ عهد المسلمين، مرَّت به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبتُ^(٢) بها وأصغرتني، وعبدُ الملك مطرق، فرفع رأسه، فقال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَبةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٣)، فقال خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٤)، فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلمني؟ والله لقد دخل عليَّ فما أقام لسانه لحنًا! فقال له خالد: أفعلى الوليد تُعول؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان، فقال [١٨٩] خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: آسكتُ يا خالد، فوالله ما تعدُّ في العير [١/٨٠] ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم أقبل عليه فقال^(٥): وَنَحَكَ فَمَنِ الْعَيْرُ وَالنَّفِيرُ غَيْرِي؟ جَدِّي أَبُو سُفْيَانَ صَاحِبُ الْعَيْرِ، وَجَدِّي عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ صَاحِبُ النَّفِيرِ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ: غُنَيْمَاتٌ، وَحُبَيْلَاتٌ، وَالطَائِفُ، وَرَجِمَ اللَّهُ عِثْمَانَ لَقُلْنَا^(٦) صدقت!

(١) في الأصل وج وهـ: فتعبت. وفي الأصل: مرت عليه.

(٢) في ج وهـ: فتعبت.

(٣) سورة النمل: ٣٤.

(٤) سورة الإسراء: ١٦.

(٥) في رو هـ: وقال.

(٦) في الأصل وف وهـ: قلنا.

أما قوله: «في العير» فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام فنهَدَ إليها رسولُ الله ﷺ وَنَدَبَ إليها المسلمين، وقال: «لَعَلَّ اللهُ يُنْفِلُكُمْوهَا»^(١)؛ فكانت وقعة بدر، وساحل أبو سفيان بالعين، فكانت الغنيمه بيدر، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكِةِ تَكُونَ لَكُمْ﴾^(٢) أي غير الحرب؛ فلما ظفر رسولُ الله ﷺ بأهل بدر، قال المسلمون: أنهد بنا يا رسول الله إلى العير^(٣)، فقال العباس رضي الله عنه: إنما وعدكم الله إحدى الطائفتين.

وأما «النفير» فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاؤوا فكانت وقعة بدر، وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وهو جد خالد بن قيس جدته هند أم معاوية بنت عتبة، ومن أمثال العرب: لست في العير يوم يخذون بالعين ولا في النفير يوم النفير ثم أتسع هذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يحفل به: «لا في العير»^(٤)، ولا في النفير^(٥).

وقوله: «غنيمات، وحييلات» يعني أن رسول الله ﷺ لما أطرده الحکم بن أبي العاصي بن أمية، وهو جد عبد الملك بن مروان نجأ إلى الطائف، فكان يرعى غنيمات ويأوى إلى حبيلة، وهي الكرمه.

وقوله: «رحم الله عثمان» أي لردّه إياه. وقولنا «أطرده»: أي جعله طريداً،

(١) انظر السيرة النبوية ٢/٢٥٨، ومغازي الواقدي ١/٢٠.

(٢) سورة الأنفال: ٧.

(٣) في الأصل وج: انهد بنا إلى العير يا رسول الله.

(٤) في الأصل وج: لست في العير.

(٥) انظر الفاخر ١٧٧، وجهرة الأمثال ٢/٣٩٩، وجمع الأمثال ٢/٢٢١، والمستقصى ٢/٢٦٤.

وَطَرَدَهُ: نَحَاهُ، كَمَا تَقُولُ حَمِيدَتُهُ: أَي شَكَرْتَهُ، وَأَحْمَدَتُهُ: أَي صَادَفْتَهُ مَحْمُوداً،
وَكَانَ عَثْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَسْتَاذَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَدِّهِ مَتَى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ، رَوَى
ذَلِكَ الْفَقْهَاءُ^(١).

[١٩٠]

(١) بهامش ي ما نصه: «لم يصح الاستئذان».

وروى البلاذري بسنده «أنَّ الحَكَمَ بنَ أَبِي العاصِ بنِ أمِيَّةَ عمَّ عَثْمَانَ بنِ عَفَانَ بنِ أَبِي العاصِ بنِ أمِيَّةَ كانَ جَاراً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكانَ أَشدَّ جيرانَهُ أَذىً لَهُ فِي الإسلامِ، وَكانَ قَدومُهُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَكانَ مَغموصاً عَلَيْهِ فِي دينِهِ، فَكانَ يَمُرُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَغْمِزُ بِهِ وَيحْكِيهِ وَيخلِجُ بِأَنفِهِ وَفمِهِ وَإِذا صَلَّى قامَ خَلْفَهُ فَأشارَ بِأصابعِهِ، فَبَقِيَ عَلَ تَخْلِيجِهِ وَأصابَتُهُ خَبَلَةٌ، وَأَطَّلَعَ عَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي بَعْضِ حُجْرٍ نَسائِهِ فَعرفَهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ بِعِزَّةٍ وَقَالَ: مِن عَذيرِي مِن هَذا الوِزْغَةِ اللَّعِينِ، ثُمَّ قالَ: لا يَساكَنِي وَلا وَلَدَهُ، فَغَرَبَهُم جَمِيعاً إِلَى الطائِفِ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَ عَثْمَانَ أبا بَكْرٍ فِيهِمُ وَسألَهُ رَدَّهُمُ فَأبَى ذَلكَ وَقَالَ: ما كُنْتُ لَأَوي طَرِداةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ لَمَّا اسْتَخَلَفَ عَمَرَ كَلَّمَهُ فِيهِمُ فَقَالَ مِثْلَ قولِ أَبِي بَكْرٍ. فَلَمَّا اسْتَخَلَفَ عَثْمَانَ أَدخَلَهُمُ المَدِينَةَ وَقَالَ: قَد كُنْتُ كَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهِمُ وَسألَتُهُ رَدَّهُمُ فوعَدَنِي أَن يَأذَنَ لَهُمُ فُقُبِضَ قَبْلَ ذَلكَ، فَأَنكَرَ المُسلِمُونَ عَلَيْهِ إِدخالَهُ إِياهُمُ المَدِينَةَ، أَنسابُ الأشرافِ ٥١٣/١/٤ - ٥١٤.